197879 ـ يسأل : لماذا خصّ الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بدرجة الوسيلة ؟

السؤال

لقد رزقني الله توبة أسأل الله بأن يثبتني عليها . لماذا اختار الله أن يمنح درجة الوسيلة للرسول صلى الله عليه وسلم ، مع أنه من الممكن أن يأتي رجل صالح من بعده ويجمع حسنات أكثر منه ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

نسأل الله أن يتقبل منك توبتك ، ويثبتك على صراطه المستقيم .

قول السائل : لماذا اختار الله رسوله صلى الله عليه وسلم لدرجة الوسيلة مع أنه من الممكن أن يأتي رجل صالح من بعده ويجمع حسنات أكثر منه ؟

فنقول :

أولا :

1 ـ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهو سبحانه لا يُسأل عما يفعل ، يمن على من يشاء من عباده بما يشاء من فضله ، ولا يقال : لم منّ على فلان ولم يمن على فلان ؟

قال تعالى : (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) الأنعام/ 53 .

وقال تعالى : (وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) الأنعام/ 124 .

2 – روى الإمام أحمد (3589) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : (إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ) حسنه الألباني في " الضعيفة " (2/17) .

وروى البيهقي في "دلائل النبوة" (47) " عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنهم قالوا له : أخبرنا عن نفسك ، فذكر الحديث ، قال : (واسترضعت في بني سعد بن بكر ، فبينا أنا مع أخ لي في بهم لنا ، أتاني رجلان عليهما ثياب بياض ، معهما طست من ذهب مملوءة ثلجا ، فأضجعاني ، فشقا بطني ، ثم استخرجا قلبي ، فشقاه ، فأخرجا منه علقة سوداء ، فألقياها ، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج ، حتى إذا أنقيا ثم رداه كما كان ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته ، فوزنني بعشرة ، فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمائة من أمته ، فوزنني بمائة ، فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنني بألف ، فوزنتهم . فقال : دعه عنك ، فلو وزنته بأمته لوزنهم)وصححه الألباني في "الصحيحة" (1545) .

فنقول للجواب عن هذا السؤال : خصه الله تعالى بمنته وفضله ؛ لأنه سبحانه يمن على من يشاء بما يشاء ولا يسأل عما يفعل ؛ ولأنه عز وجل نظر في قلوب عباده فوجد قلب رسوله صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فخصه بأعظم فضل وأكرم منزلة .

فمن كان قلبه أطهر القلوب وخيرها وأكملها على الإطلاق فهو أولى الخلق بأفضل منزلة وأعلى رتبة ، وهذا من تمام عدل الله تعالى وتمام فضله ؛ فهو سبحانه أعلم بمن يستحق فضله ، ومن هو أهل لحمل نعمه ، وشكرها ؛ وبهذا رد الله تعالى على المشركين الذين طعنوا في حكمة الله ، ورغبوا عن شرعه ، بحججهم الواهية ؛ قال الله تعالى : (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) الأنعام/35 ، وقال تعالى : (وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ) الأنعام/124.

قال الشيخ السعدي رحمه الله :

" وفي هذا اعتراض منهم على الله ، وعجب بأنفسهم ، وتكبر على الحق الذي أنزله على أيدي رسله ، وتحجر على فضل الله وإحسانه .

فرد الله عليهم اعتراضهم الفاسد ، وأخبر أنهم لا يصلحون للخير ، ولا فيهم ما يوجب أن يكونوا من عباد الله الصالحين ، فضلا أن يكونوا من النبيين والمرسلين ، فقال: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ فيمن علمه يصلح لها ، ويقوم بأعبائها ، وهو متصف بكل خلق جميل ، ومتبرئ من كل خلق دنيء ، أعطاه الله ما تقتضيه حكمته أصلا وتبعا، ومن لم يكن كذلك ، لم يضع أفضل مواهبه ، عند من لا يستأهله ، ولا يزكو عنده .

وفي هذه الآية ، دليل على كمال حكمة الله تعالى ، لأنه وإن كان تعالى رحيما واسع الجود، كثير الإحسان ، فإنه حكيم لا يضع جوده إلا عند أهله " انتهى من "تفسير السعدي" (271) .

ثانيا :

قول السائل :

مع أنه من الممكن أن يأتي رجل صالح من بعده ويجمع حسنات أكثر منه !

قول باطل مردود ؛ إذ لا يمكن أن يأتي أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حسنات منه ، ولو عاش إلى يوم القيامة ، فطوى الليل بالقيام والنهار بالصيام ، لا يمكن أن يدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لسبب بسيط لو تأملت ، وهو أنه ما من أحد مسلم يعمل من الصالحات إلا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الأجر والفضل ما لهذا العامل ؛ لأنه الذي تسبب في هداه بفضل الله ، ولولا أن منّ الله على هذا العامل برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين لكان من الضالين المخذولين ، ولما تيسر له فعل مثل ذرة من خير يثيبه الله عليها ؛ لأن شرط قبول العمل أن يكون خالصا لله وأن يكون العامل فيه متابعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يثاب أحد على عمل عمله إلا ما كان وفق هدي رسول الله وسنته صلى الله عليه وسلم .

وقد روى مسلم (2674) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ

أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا) .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم دعا العالمين كافة إلى كل خير ونهاهم عن كل شر ؛ فروى الطبراني في "المعجم الكبير" (1647) عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُين لكم) وصححه الألباني في الصحيحة (1803) .

وروى مسلم (1631) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) .

قال ابن عثيمين رحمه الله :

" يكتب له صلى الله عليه وسلم أجر كل ما عملته الأمة ، فكل ما عملنا من خير وعمل صالح من فرائض ونوافل ، فإنه يكتب أجره للرسول عليه الصلاة والسلام ؛ لأنه هو الذي علمنا فهذا داخل في قوله : (أو علم ينتفع به) " انتهى "شرح رياض الصالحين" (2/ 258) .

فلرسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة ، سواء في فعل الخير أو ترك الشر ، فمَن مِن العالمين يدركه ؟!

فعليك أن تجدد توبتك وتحسنها فيما يستقبل ، ومن إحسانها أن تنشغل بما ينفعك ، وتبحث عما يقربك إلى الله ، ويدلك على طاعته ، ويلزمك طريق الهداية ، لا أن تفتح على نفسك أبواب الوساوس والشبهات ، التي هي طريق البطالة ، ولا فائدة منها تعود عليك ، لا في دينك ، ولا دنياك .

راجع للفائدة جواب السؤال رقم : (2036) .

والله تعالى أعلم .